مظاهر شرك الجاهلية التي ستعود آخر الزمان بعد اندثارها بظهور الإسلام وأسباب العودة إليها

مشعل ركابي الضفيري

الملخص

وقد بدأت هذا البحث بالتعريف بموضوعه، ثم ذكرت أسباب اختيار الموضوع وأولها التحذير من مظاهر الجاهلية، وثانيها دفع الاحباط عن الناس إذا سمعوا بالنبوءات عن الشر الذي سيقع في الأمة، وثالثها الرد على من يثبط الدعاة والمصلحين بحجة أن الشر لن يزول إلى الأبد بل ستعود صور منه في الأمة مرة أخرى، ورابعها بيان أهمية العقيدة وتعلمها للوقاية من الفتن ، وآخر تلك الأسباب أن الإخبار بالشر ووقوعه من دلائل النبوة .

ثم ذكرت مظاهر الجاهلية الواردة في القرآن الكريم ، وهي ظن الجاهلية، وحكم الجاهلية، وتبرج الجاهلية ، وحمية الجاهلية، وشرك الجاهلية .

وسلطت الضوء فيها على شرك الجاهلية لتعلقه اللصيق بتخصصي وميدان بحثي وهو العقيدة والفلسفة الإسلامية .

Abstract

This is a research in the Islamic tenet under title: (manifestations of polytheism which will return another decade after its extinction by the emergence of Islam and the reasons for return) .

This research began by definition, and then the reasons for selecting the topic, the first reason is the warning of the manifestations of polytheism , and secondly, take off the frustration of the people if they heard the predictions of evil, which will occur in the nation, and thirdly, the response to those who discouraging preachers , on the pretext that evil will not disappear forever, but will return images of it in the nation once again, the fourth is the statement of the importance and learning of tenet for prevention of sedition, and the last of these reasons that the telling about the of evil incidences are signs of prophesy.

And then I focused on manifestations of polytheism because it's close related to my field in Islamic tenet and philosophy.

Also I indicated that some kind of people will return to the most serious manifestations of polytheism , the worship of idols, especially " Al-Lat " , " al- 'Uzza " , and " Thee al-khalsa " idols , on the basis of what the prophet (Peace be upon him) had told us , the reported incidences and accidences are proofs and evidence of the fact, which had shown its occurrence, with correlation between this and what had been evidenced by the Quranic verses and prophetic " hadiths " of the emergence of Islam above all religions.

Then the research followed by talking about the reasons for the return of people to worship of those idols after they were saved by God " Allah " , and I summarized them in three reasons , first of which : polytheism and ignorance of learning monotheism, and the second is the near covenant of polytheism which still remain in body souls, and thirdly, the aberration and ignorance of the fact of monotheism.

At the end , I concluded the research with resources and references.

مظاهر الجاهلية الواردة في القرآن :

ورد ذكر الجاهلية في القرآن في عدة مواضع، وهي وإن كانت تشير إلى فترة زمنية واحدة وهي فترة ما قبل الإسلام ، قد تعرضت إلى جوانب مختلفة من مظاهر الجاهلية، فمنها ما كان متعلقا بتأثير الجاهلية العالق في النفوس بعد الإسلام ، ومنها ما كان متعلقاً بالسلوك، ومنها ما كان متعلقاً بالطباع، ومنها ما كان متعلقا بالاعتقاد ، وهي ما يلي :

1- **ظن الجاهلية** :

وهو ما تبقى من آثار الجاهلية في نفوس من انضموا إلى المسلمين ولما يدخل الإيمان في قلوبهم، حتى اذا ما جاء الأمر من الله تلكأت نفوسهم في الاستجابة والقبول والانصياع لأمر الله تعالى، وصارت قلوبهم في شك مما وعدهم الله به، مثلما وعدهم به سبحانه في غزوة أحد من الأمن والراحة الذي سيلقيه عليهم بالنعاس أثناء محاربتهم للمشركين، أما المؤمنون فاطمأنت قلوبهم ونامت عيونهم ثقة بالله،وأما المنافقون فلم يصدقوا وشكوا ولم يهنأوا بنوم ولا راحة خشية أن يبغتهم المشركون، وهو الوارد في قوله تعالى :چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ چآل عمران: ١٥٤.

قال الامام الطبري : (وهي الأمان على أهل الإخلاص منكم واليقين، دون أهل النفاق والشك .. ، فإن قال قائل : وما كان السبب الذي من أجله افترقت الطائفتان اللتان ذكرهما الله عز وجل فيما افترقتا فيه من صفتهما، فآمنت إحداهما بنفسها حتى نعست، وأهمت الأخرى نفسها حتى ظنت بالله غير الحق ظن الجاهلية ؟ قيل : ذاكم يوم أحد، كانوا يومئذ فريقين ، فأما المؤمنون فغشاهم الله النعاس أمنة منه ورحمة .. وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية { يعني بذلك جل ثناؤه : وطائفة منكم أيها المؤمنون قد أهمتهم أنفسهم ، يقول : هم المنافقون لا همّ أهم غير أنفسهم، فحذر من حذر القتل على أنفسهم، وخوف المنية عليها في شغل، قد طار عن أعينهم الكرى، يظنون بالله الظنون الكاذبة، ظن الجاهلية من اهل الشرك بالله، شكاً في أمر الله، وتكذيبا لنبيه صلى الله عليه وسلم ، ومحسبة منهم أن الله خاذل نبيه، ومُعْلٍ عليهم اهل الكفر به، يقولون : هل لنا من الأمر شيء) .[1]

وهذا الأمر – ظن الجاهلية – ليس من متعلقات موضوع بحثنا، إذ هي حالة نفسية خاصة بصاحبها وليست حالة عامة تصم المجتمع، وتشكل ظاهرة راسخة فيه أو تصور حالته الفكرية والعقائدية .

2- حكم الجاهلية :

حكم الجاهلية هو كل حكم خالف حكم الله تعالى، وإن جاء بعد ظهور الإسلام وزوال زمان الجاهلية، مثل الأحكام المستوردة من غير المسلمين والدساتير الوضعية التي حلت لدى أصحابها محل الشريعة، فهي كلها تجتمع مع حكم الجاهلية في مجانبتها لمصدر التشريع، فحكم الله من الله تعالى مستمد من كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أما حكم الجاهلية فمصدره أهواء البشر واجتهاداتهم الناقصة وعقولهم القاصرة، سواء كانوا أميين جهلة أو كانوا من أساتذة القانون أوفقهاء الدساتير، فكل حكم جافى حكم الله فهو جاهلي، وإن نبلت مقاصدهم في تشريعه وسنه .

وهو المشار إليه في قوله تعالى : چ ي ي ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى چ المائدة: ٥٠

ويشير الامام الطبري إلى أنها نزلت في يهود أبوا حكم النبي صلى الله عليه وسلم وأرادوا حكم الجاهلية فقال : (أيبغي هؤلاء اليهود الذين احتكموا إليك فلم يرضوا بحكمك، وقد حكمت فيهم بالقسط حكم الجاهلية، يعني أحكام عبدة الأوثان من أهل الشرك،وعندهم كتاب الله فيه بيان حقيقة الحكم الذي حكمت به فيهم، وإنه الحق الذي لا يجوز خلافه [2] .

ويتوسع ابن كثير في ذكر اصناف من أولئك المبدلين بحكم أنه متأخر عن الطبري وصادف أقواما وتغييرات حدثت في الأمة الإسلامية بقدوم التتار وما معهم من ثقافة وموروثات غريبة عن الأمة الإسلامية والدين الإسلامي ، فيقول في تفسير هذه الآية : (قوله تعالى : "أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون " ينكر تعالى على من خرج على حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به الشارع من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى : من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها الكثير من الاحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير، قال تعالى " أفحكم الجاهلية يبغون " أي يبتغون ويريدون وعن حكم الله يعدلون " ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون" ، أي ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه، وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شيء، .. سمعت الحكم يقول : من حكم بغير حكم الله فحكم الجاهلية ..، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : [أبغض الناس إلى الله عز وجل من يبتغي في الإسلام سنة الجاهلية، وطالب دم امرئٍ بغير حق ليريق دمه] [(3)] .

3- تبرج الجاهلية :

وهو أمر سلوكي متعلق بالاخلاق ونهى عنه الإسلام الذي أمر بالحجاب والستر والعفة، وصيانة المرأة عن الابتذال، وحمايتها من طمع ذوي القلوب المريضة، فحذرها الله من التبرج، والخطاب موجه لأمهات المؤمنين ويسري بالتبع على سائر النساء المؤمنات، وذلك بقوله تعالى : ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼالأحزاب: ٣٣.

وللإمام البغوي كلام مفيد في هذا الموضوع إذ يتعرض فيه إلى اقسام الجاهلية فيقول : قال مجاهد وقتادة: التبرج هو التكسر والتغنج، وقال ابن أبي نجيح: هو التبختر. وقيل: هو إظهار الزينة وإبراز المحاسن للرجال، (تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولَى) اختلفوا في الجاهلية الأولى، قال الشعبي: هي ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم.

وقال أبو العالية: هي في زمن داود وسليمان عليهما السلام .

وقال الكلبي: كان ذلك في زمن نمرود الجبار، وروى عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: الجاهلية الأولى فيما بين نوح وإدريس، وكانت ألف سنة .

قال قتادة: هي ما قبل الإسلام ، وقيل: الجاهلية الأولى: ما ذكرنا، والجاهلية الأخرى: قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان [(4)] .

4- حمية الجاهلية :

والحمية هي الأنفة والتعصب، والاعتداد بالرأي والموقف وإن كان خطأً خشية الصغار والذل، وهذا كان من عادات الجاهلية، إذ العبرة لديهم ليست بالحق بل بالعلو وفرض الارادة على الآخر، ولذلك حمدوا الظلم إذا كان تعبيرا عن القوة والسيادة لأنه من لم يظلم الناس يظلم في عرفهم، ولما اشتد خلافهم مع المسلمين في مفاوضات صلح الحديبية اعتدوا برأيهم لا لأنه صواب بل كي لا يقال عنهم أعطوا الدنية من أمرهم، بينما عصم الله تعالى نبيه وأصحابه من تلك الحمية الجاهلية وأمرهم بالتقوى والصلاح والرشد من الامر، إذ كان رأيهم يتغيّا المصلحة العظمى وإن كان ظاهره القبول بما اشترطه المشركون وفيه قال تعالى : ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼالفتح: ٢٦ .

وأشار الامام البغوي إلى ذلك بقوله : (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ) حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وأنكروا محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والحمية: الأنفة، يقال: فلان ذو حمية إذا كان ذا غضب وأنفة.

قال مقاتل: قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا، [فتتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم أنفنا]، واللات والعزى لا يدخلونها علينا، فهذه "حمية الجاهلية"، التي دخلت قلوبهم.

(فَأَنـزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) حتى لم يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصوا الله في قتالهم، (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وعكرمة، والسدي، وابن زيد، وأكثر المفسرين: كلمة التقوى "لا إله إلا الله" (5) .

5- شرك الجاهلية :

وهو أعظم مظاهر الجاهلية، وأبرز معالمها، والعلامة الفارقة بينها وبين الإسلام، إذ هو نقيض التوحيد وببعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى نبذه انتهى عصر الجاهلية .

وهل هناك أكثر جهلا من الجهل بالله تعالى، وجهل حقه على العباد، واضفاء صفات الربوبية والالوهية على جمادات لا تملك لنفسها فضلا عن غيرها ضرا ولا نفعا، ولذلك استحق الذين وقع منهم ذلك نسبتهم إلى الجهل ووصفهم بالجاهلين، كما قال تعالى في حكاية ما دار بين نبي التوحيد صلى الله عليه وسلم مع أهل الشرك والجهالة، قال تعالى چ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے چ الزمر: ٦٤ .

وبين الله جل وعلا في تلك الآيات أن سبب وصفهم بالجهل هو جهلهم بقدر الله تعالى وأسمائه وصفاته وحقه على العباد، وذلك بعدما بين أن جميع الانبياء عليهم السلام أمروا مثل نبينا بعبادة الله وحده، فقال سبحانه چ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮬ ﮬ ﯓ ﯓ ﯔ ﯔ ﯕ ﯕ ﯖ ﯖ ﯗ ﯗ ﯘ ﯘ ﯙ ﯙ ﯚ ﯚ ﯛ ﯛ ﯜ ﯜ ﯝ ﯝ ﯞ ﯞ ﯟ ﯟ ﯠ ﯡ ﯡ ﯢ ﯢ ﯣ ﯣ ﯤ ﯤ ﯥ ﯦ ﯦ ﯧ ﯧ ﯨ ﯨ ﯩ ﯩ چ الزمر: ٦٤ - ٦٧ .

وقد وجد إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام قومه على الحال نفسها من الجاهلية المتمثلة في تعظيم أصنام لا تسمع ولا تبصر، وعبادة أحجار لا تنفع ولا تضر، فدعاهم إلى نبذها وعبادة الله وحده ، قال سبحانه چ ک ک ک گ گ گ گ ﮔ ﮔ ﮕ ﮕ ﮖ ﮖ ﮗ ﮗ ﮘ ﮘ ﮙ ﮙ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ چالشعراء:٦٩-٧٣.

وكما قال لأبيه وهو يدعوه إلى التوحيد ونبذ الاصنام ، چ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ چ مريم: ٤٢ .

ووصف الجهل والجاهلية لصيق بعبدة الاوثان في كل عصر، بل هم أول مستحقيه، فهذا موسى عليه السلام حينما طلب منه قومه أن يجعل لهم أصناما يعبدونها وصفهم بالجهل، كما في قوله تعالى چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ چ الأعراف: ١٣٨ .

فيما سبق ألقينا نظرة على مظاهر الجاهلية الواردة في كتاب الله، وقد جمع بينها أنها نابعة من الاحتكام إلى معايير الجاهلية البعيدة عن نورِ الوحي، تلك المعايير التي تعظم موروثات الآباء واعتبارها في حد ذاتها فاصلاً في الصواب والخطأ، معايير افتقرت إلى الضوابط السلوكية التي جاء بها الإسلام، فتقدس ما تهواه الأنفس وإن أدت إلى مقارفة الموبقات والانحرافات السلوكية والفكرية، فما حملها على ظن الجاهلية إلا سوء ظنها بالله، ولا حملها على اباحة التبرج إلا تقديسها للنمط الجاهلي في السلوك، ولا ألجأها إلى حمية الجاهلية إلا التعصب للثقافة الجاهلية التي تربط بين العزة والكرامة والاعتداد بالراي وإن كان خطأً، ولا احتكمت إلى حكم الجاهلية إلا لتعظيمها موروثات الآباء وعاداتهم وتقاليدهم وآرائهم، وأنفتهم من الحق الذي يساوي بين الناس ويقتص للظالم من المظلوم، ولا عبدوا الأوثان من دون الله إلا لجهلهم بقدر الخالق العظيم سبحانه، وجهلهم بذاته وأسمائه وصفاته .

ولما كان شرك الجاهلية هو السمة البارزة لحياة الجاهلية وأهلها وزمنها، تلك التي كانت موطن الصراع، ومبدأ النزاع بين أهل الحق وأهل الباطل، سنكتفي في هذا البحث باستعراض ما يتعلق بظاهرة العودة إلى شرك الجاهلية وهو عبادة الأصنام، والتي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوع بعض المنتسبين للإسلام فيها بعد ظهور الإسلام، وأسباب ذلك النكوص، وهل كان متمكنا عميقا في نفوسهم أو كان عابرا طارئا سرعان ما زال .

عودة الناس إلى عبادة بعض أصنام الجاهلية في آخر الزمان :

1- عودة بعض قبيلة دوس إلى عبادة صنمها ذي الخلصة :

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق بأن فئات من الأمة ستعود إلى عبادة الأصنام مرة أخرى، ولا يعني ذلك عودة الأمة كلها أو طغيان الشرك على التوحيد، بل الأخبار الأخرى تدل على أن أمة محمد كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره [6]، وأن الله يبعث على راس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها [7]، وأن الله يبعث رجالا مصلحين يقودون الأمة إلى النصر والعز، ويشيع العدل والرخاء .

وما هذه الاخبار عن عودة الشرك إلا وصف لحالة معينة في بلد معين لفئات معينة، نتجت عن تحقق أسباب الضلال والإضلال التي سنبينها بإذن الله تعالى.

أو لعلها تكون في آخر الزمان قبيل قيام الساعة إذ لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس بعد أن يقبض الله أرواح المؤمنين فلا يبقى على الارض من يقول الله الله [8].

ومن ذلك عودة قبيلة دوس إلى عبادة صنمها الذي كان تعبده في الجاهلية قبل الإسلام وكان يسمى ذا الخلصة، وورد ذلك في صحيح مسلم في رواية لأبي

هريرة رضي الله عنه،قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم { لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة } [9].

قال ابن الجوزي :

(الأليات : جمع ألية وهي العجز وذو الخلصة بيت كان فيه صنم يقال له الخلصة وكان لدوس وخثعم وكان يسمى الكعبة اليمانية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله لهدمه وعقد له لواء فهدمه فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس يعودون في آخر الزمان إلى عبادة الأوثان وإنما ذكر اضطراب الأليات ليصف قوة الحرص على السعي حول ذلك الصنم الذي كان يعبد حتى حرص النساء إلى أن تضطرب أعضاؤهن لشدة الحركة)[10] .

قالَ ابْنُ بَطَّالٍ : هذا الحديث وما أشبهه ليس المراد به أن الدين ينقطع كله في جميع أقطار الأرض حتى لا يبقى منه شيء، لأنه ثبت أن الإسلام يبقى إلى قيام الساعة، إلا أنه يضعف ويعود غريبا كما بدأ [11].

ودوس أول من يعود إلى عبادة الأصنام من العرب، وجاء نص ذلك في حديث في صحته كلام رواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن، ولكن يعضده الروايات الصحيحة، رواه عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تُنْصَبُ الأوثانُ، وأَوَّلُ مَنْ يَنْصِبُها أَهلُ حضيرٍ من تهَامَةَ) [12]، وتهامة هي منازل قبيلة دوس في جنوب غرب الجزيرة العربية .

هذا هو الخبر من النبي صلى الله عليه وسلم ، فهل وقع أم أنه سيقع في زمان متأخر؟ .

قال الشيخ حمود التويجري رحمه الله : وقد وقع الأمر طبق ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحيح، وعظم افتتان أهل تبالة ومن حولهم من القبائل بذي الخلصة، وأعادوا سيرتها الأولى في الجاهلية، حتى ظهر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، فدعا إلى التوحيد، وجدد ما اندرس من معالم الدين، وسعى في محو الشرك ووسائله وما يدعو إليه ويرغب فيه، فبعث إمام المسلمين في ذلك الزمان - وهو عبد العزيز بن محمد بن سعود رحمة الله تعالى عليه وعلى من كان السبب في إمامته - جماعة من المسلمين إلى ذي الخلصة، فخربوها، وهدموا بعض بنائها، وبقي بعضه قائمًا، وزال الافتتان بها في زمن ولاية النجديين على الحجاز، ولما زالت ولايتهم عن الحجاز؛ عاد الجهال إلى ما كانوا عليه من الافتتان بها، حتى ولي الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود على الحجاز وما حوله، فبعث عامله على تلك النواحي جماعة من المسلمين، فهدموا ما بقي من بنائها، ورموا بأنقاضها في الوادي، فعفى بعد ذلك رسمها، وانقطع أثرها، ولله الحمد والمنة [13] .

ويذكر محقق كتاب أخبار مكة، أن الناس في بدايات القرن العشرين عادت إلى تعظيم ذي الخلصة بعد فشو الجهل، واضطراب الأمن، وأخذوا يقربون إليها،

حتى هدمت في زمن الدولة السعودية، فيقول ما نصه : " لمّا اضطرب حبل الأمن في جزيرة العرب في العصور الأخيرة وافتقد القاطنون فيها الرّاحة والطّمأنينة، وساد الفقر والإملاق في البلاد، أحسّت النّفوس بالرّغبة في التبتّل والتنسّك، وشعرت الأرواح بالحاجة إلى ملجأ تفزع إليه، فانقلبت إلى حياتها الجاهليّة الأولى بالتمسّك بالبدع والخرافات، وعادت إلى التمسّح بالأحجار والأشجار. وكانت دوس ومن يجاورها من القبائل في الطّليعة فرجعت إلى ذي الخلصة تتمسّح بها، وتهدي لها وتنحر عندها " .

بعدها تم إزالته عند بزوغ الدولة السعودية بين1341هـ و1344/1921_ 1925م بأمر من الملك عبد العزيز،.. وذَكَرَ أحدُ الذين شاركوا في هذه الحملة أنّ بُنيان ذي الخلصة كان قوياً، بحيث لا يقدر على زحزحة الحجر الواحد إلا عشرات الرجال وإنّ متانته تدلّ على مهارة وحذق في البناء ". [14].

2- عبادة اللات والعزى :

عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى فقلت يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله چ ذ ث ث ث ث ٹ ٹ ٹ ف ف ڤ ڤ ڤ ڤ چ (التوبة:٣٣)أن ذلك تاما قال إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم) [15].

وواضح من نص هذا الحديث أن تحقق هذا الخبر سيكون في آخر الزمان قبيل قيام الساعة، حين لا يبقى على الأرض أحد من المؤمنين بعد أن ترسل اليهم ريح طيبة تقبض أرواحهم ، فتقوم الساعة والعياذ بالله على شرار الناس، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام مسلم ما نصه (فبينما هم كذلك، إذ بعث الله ريحا طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة)، وفي رواية عبدالله بن عمرو بن العاص (ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الارض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه،قال سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيقولون فما تأمرنا فيامرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتا، قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قل فيصعق ويصعق الناس) [16]

أسباب عودة الناس إلى مظاهر شرك الجاهلية :

انحراف الانسان عن جادة الصواب ليس بالأمر المستغرب إذا علمنا أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وأن هذا الانسان يتعرض للكثير من المؤثرات والأسباب التي تمتحن يقينه، وتبتلي إيمانه، وأن خير الناس كانوا يخشون على أنفسهم من الضلال بعد الهدى، فهذا نبينا صلى الله عليه وسلم كان كثيرا ما يدعو ربه (اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك)، بل إن إمام الحنفاء وأبا الانبياء وخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، كان يخشى على نفسه من أعظم صور الانحراف وأجلاها ألا وهي عبادة الأصنام، ويدعو ربه أن يجنبه وبنيه ذلك، قال تعالى : چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ف ف ڤ ڤ ڤ ڤ چ إبراهيم: ٣٥ .

يقول الطبري: كان إبراهيم التيميّ يقصُّ ويقول في قَصَصه: من يأمن من البلاء بعد خليل الله إبراهيم ، حين يقول: ربِّ (اجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ) [17].

- وهؤلاء قوم موسى وبعد لحظات قصيرة من نجاتهم من الهلاك وانتصارهم المبين على فرعون وتوالي المعجزات والبينات أمام أعينهم، يسقطون في حبال الشيطان وجنده البشريين، فلم يتأخروا حينما دعاهم السامري إلى عبادة العجل بالمسارعة إلى ذلك، ويقص الله ذلك بقوله سبحانه : چ ۋ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ طه: ٨٦ .

ولذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه من ذلك، وأخبرهم بوقوع ما حذر منه من اتباع الامم الأخرى بقوله : (لتركبن سنن من كان قبلكم) [18]

وأخبر أن الدين سيتعرض للغربة مثلما بدأ بها، فيقول صلى الله عليه وسلم (إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء) [19] .

والمسلم عليه أن يدرك ذلك كي لا يغتر بإيمانه، وأن يتعلم أسباب الضلال ليتجنبها، ويحمي نفسها ويحمي أمته الإسلامية من النكوص إلى أوحال الجاهلية ، وهنا نستعرض تلك الاسباب :

1-الجهل وترك تعلم التوحيد :

الجهل وعدم تعلم التوحيد وأركان الإيمان ، مظنة الوقوع في نواقض التوحيد، وقد عد بعض العلماء ترك تعلم الإسلام بالكلية من نواقض الإيمان مستدلين بقوله تعالى چ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ چ السجدة: ٢٢ [20].

وكم ساد الجهل عند فئات من الامة حتى إنهم لا يعلمون معنى كلمة التوحيد بمفهومها الشامل، ولا يعلمون ما ينقضها، فيقعون بسبب جهلهم ما يشابه أعمال أهل الجاهلية من التقرب إلى غير الله وتعظيمه، بحجة أن المحرم هو السجود والركوع فقط، لا سائر أصناف القربات كالذبح والنذر .

وهذا في حقيقة الأمر هو عين الشرك الذي أعاد أهل ذي الخلصة إلى صنمهم، فهم لم يشكوا في الله ولكنهم ظنوا أن طلب النفع والضر من تلك الاصنام لا يقدح في توحيدهم، إذ أرادوا الصنم شفيعا عند الله، كما كان يقول اهل الجاهلية چ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ گ ہ چ الزمر: ٣

وهذا ما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يحذر وهو في سكرات الموت من وسائل الشرك قائلا: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) (21).

فهذا هو أول سبب من أسباب العودة إلى عبادة الأصنام وهو الجهل بالتوحيد.

2-قرب العهد بزمن الجاهلية وبقاء رواسبها في النفوس :

بعد فتح مكة ذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين لغزوها فمر في طريقة بشجرة يقال لها ذات أنواط كان المشركون يعلقون عليها أسلحتهم طلبا للنصر، فطلب بعض من معه وهم مجموعة من حديثي الإسلام بعد فتح مكة أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها مثلما كان المشركون يتبركون بشجرتهم ذات أنواط، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ، وعد ذلك نوعا من النكوص إلى الجاهلية، ومشابهة لقوم موسى الذين طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلها مثلما أن عبدة الأصنام اتخذوها لهم آلهة من دون الله .

ونص الحديث : " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ" (22).

ونلحظ في خاتمة الحديث تحذيره صلى الله عليه وسلم من عودة الناس إلى تلك المظاهر الشركية الجاهلية، مع اخباره بوقوع ذلك .

قالَ النَّوَوِيُّ : الْمُرَادُ الْمُوَافَقَةُ فِي الْمَعَاصِي وَالْمُخَالَفَاتِ لا فِي الْكُفْرِ وَفِي هَذَا مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ وَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتَهَى (23).

وقد تطرق الامام الطبري رحمه الله إلى تلك الحادثة في معرض تفسيره لقوله تعالى چ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ چ الأعراف: ١٣٨.

قال الطبري : " يقول تعالى ذكره وقطعنا ببني إسرائيل البحر بعد الآيات التي أريناهموها والعبر التي عاينوها على يدي نبي الله موسى، فلم تزجرهم تلك الآيات ولم تعظهم تلك العبر والبينات حتى قالوا مع معاينتهم من الحجج ما يحق أن يذكر معها البهائم، إذ مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، يقومون على مُثُلٍ لهم

يعبدونها من دون الله، اجعل لنا يا موسى إلهاً، يقول: مثالا نعبده وصنما نتخذه إلها، كما لهؤلاء القوم أصنام يعبدونها، ولا تنبغي العبادة لشيء سوى الله الواحد القهار، وقال موسى صلوات الله عليه : إنكم أيها القوم قوم تجهلون عظمة الله وواجب حقه عليكم، ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشيء سوى الله الذي له ملك السماوات والأرض ..، وقد حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري، أن أبا واقد الليثي، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين، فمررنا بسدرة، قلت : يا نبي الله اجعل لنا هذه ذات أنواط

كما للكفار ذات أنواط ، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة يعكفون حولها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " الله اكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، إنكم ستركبون سنن الذين من قبلكم "[24] .

وهذه الحادثة التي وقعت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبحضوره، ويظهر أن سببها حداثة عهد هؤلاء بالإسلام فلم يكونوا من السابقين الأولين الذين وقر الإيمان في قلوبهم ورسخت العقيدة في وجدانهم وعقولهم،بل كانوا من الطلقاء ومسلمة فتح مكة الذين صحبوه فور إسلامهم بعد فتح مكة إلى حنين، وهم لتوهم دخلوا في الإسلام ولم يتشربوا تعاليمه، أو يعرفوا نقائض الإيمان الذين دخلوا فيه، ونستخلص من هذا أن حداثة العهد بالإسلام مظنة الوقوع في أوضار الجاهلية وعقائدها وعاداتها، ويذكرنا هذا بقول النبي صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : " ياعائشة لولا أن قومك حديث عهد بجهل، لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض وجعلت له بابين باباً شرقياً وباباً غربياً، فبلغت به أساس إبراهيم " [25] .

فهذا النبي صلى الله عليه وسلم رغم أنه سيد البشر وخاتم الأنبياء والمرسلين ، وهو من نزل عليه الوحي وأقر له الناس بالعصمة والتبليغ عن ربه وسلموا له بالطاعة المطلقة له، ويدرك عليه الصلاة والسلام مع ذلك أن رواسب الجاهلية لا يزحزحها من النفوس حداثة الإيمان دون ممارسة ومعايشة، فكيف بمن يأتي بعدهم في زمان الغربة، وبُعد العهد عن زمن النبوة وقرون الخير المفضلة .

3- اضلال المضلين مع الجهل بحقيقة التوحيد :

من أسباب الضلال ومحفزاته وجود من يزين الباطل للناس ليجعله حقا في أعينهم، وهم من أشد من خاف النبي صلى الله عليه وسلم على الأمة من تأثيرهم ، فضعاف العقول إذا أتاهم من يخاطبهم بلسان معسول، وكلام يدس فيه الآيات في غير موضعها، والأحاديث في غير شواهدها، انبهروا بقدسية الكتاب والسنة، وهيئة من يحدثهم بها وسلموا أمره إلى هذا المضل، لذلك اشتد خوف المصطفى منهم على أمته، فقال : (إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون) [26] .

وهؤلاء اليهود والنصارى تُرى من حرف دينهم غير الأحبار والرهبان،

واتخذهم الناس أربابا من دون الله لا بعبادتهم بل بطاعتهم؟ قال تعالى چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ چ التوبة: ٣١ ، فلما نزلت الآية قال عدي بن حاتم رضي الله عنه حين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوها : إنا لسنا نعبدهم . قال : " أليس يحلون ما حرم الله فتحلونه ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه ؟ " قال : بلى . قال : " فتلك عبادتكم إياهم" (27).

وكذلك قوم موسى من دعاهم إلى عبادة العجل غير ضال من الضلال زين لهم شركهم بالله رغم أنهم مع نبيهم؟ قال تعالى چ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي چ طه: ٨٥،وقد يكون المضل حاكما مطاعا مثل فرعون: الذي قال الله تعالى عنه ٹ چ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ چ طه: ٧٩ .

4-اتباع الهوى :

من الناس من يتبع هواه ويعجب برأيه، حتى يرى السيء حسنا لأنه مال إليه ورغب فيه، لا لكونه الحق بل لأن مصلحته فيه، إما لطلب شهوة أو مال أو رياسة أو شهرة أو نحوها من حظوظ الدنيا، وقد ذم الله تعالى هذا الصنف من الناس بقوله : چ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ہ چ فاطر: ٨

ولا يستهان بهذا السبب فهو عين ما فتن أساطين الكفر وجرهم إلى الضلال بل إلى أكبر الضلال والكفر والالحاد، فهذا فرعون أكفر أهل الأرض ما جره إلى كفره إلا ذلك، قال تعالى : چ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے چ غافر: ٣٧

وعلى منوال فرعون من رأى تعظيم المخلوقين من البشر والجمادات وآثارهم حتى غلا فيها، وتدرج به الغلو إلى اضفاء بعض صفات وقدرات الألوهية عليها .

المصادر والمراجع :

- الجامع الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج بشرح الإمام النووي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط2 – 1972 .
- الجامع الصحيح للإمام محمد بن إسماعيل البخاري – دار الريان للتراث –القاهرة – ط1 – 1987.
- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1992.
- تفسير القرآن العظيم لعماد الدين ابن كثير- مختصره للشيخ محمد علي الصابوني- دار القرآن الكريم – بيروت – ط7 – 1981 .
- معالم التنزيل للامام الحسين بن مسعود البغوي – المسمى بتفسير البغوي –دار طيبة – الرياض – ط2 – 1993 .
- كشف المشكل من حديث الصحيحين لأبي الفرج ابن الجوزي – بتحقيق د. علي البواب - دار الوطن - الرياض – ط1 - 1997.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لأحمد بن حجر العسقلاني-دار الريان للتراث– القاهرة–ط3–1407 .
- كتاب الفتن لنعيم بن حماد – بتحقيق مجدي الشوري – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1997 .
- اتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة لحمود بن عبدالله التويجري - دار الصميعي – الرياض 0 ط2 – 1414 .
- أخبار مكّة لأبي الوليد الأزرقي- بتحقيق رشدي ملحس – الناشر عبدالمقصود خوجة – جدة – 1425 – 2005 .
- رسالة نواقض الإسلام للإمام محمد بن عبدالوهاب – طبعة الادارة العامة للبحوث العلمية والافتاء .
- تحفة الاحوذي بشرح سنن الترمذي لصفي الدين المباركفوري- المكتبة السلفية – المدينة المنورة – ط2 – 1986 .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل –دار الباز للنشر والتوزيع–مكة المكرمة– ط2 – 1978 .

الهوامش

1- تفسير جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري – ج3- ص482 : دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1992 .
2- تفسير الطبري : ج4 – ص 614 .
3- [3] تفسير القرآن العظيم لعماد الدين ابن كثير : انظر مختصر ابن كثير للصابوني – ج1 – 523 - دار القرآن الكريم – بيروت – ط7 – 1981 .
4- تفسير معالم التنزيل للامام البغوي – ج6 – ص346 – دار طيبة – الرياض – ط2 – 1993 .
5- تفسير البغوي : ج7 – ص321 .
6- أخرجه الترمذي في سننه – كتاب الأمثال – برقم 2869، عَنْ أَنَسٍ ونصه (مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ) .
7- رواد أبوداود - كتاب الفتن والملاحم - من حديث أبي هريرة، ونصه أَبِي هُرَيْرَةَ فِيمَا أَعْلَمُ) إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)
8- انظر صحيح مسلم : كتاب الإمارة – باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين – ح 3550 .
9- رواه مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة – باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذاالخلصة، ح 2906 .
10- كشف المشكل من حديث الصحيحين لبي الفرج ابن الجوزي – بتحقيق د. علي البواب : ج3/ص324 - دار الوطن - الرياض – ط1 - 1997.
11- فتح الباري لابن حجر : كتاب الفتن – باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان _دار الريان للتراث – القاهرة – ط3 – 1407 .
12- رواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن: ح1348/ص411 – بتحقيق مجدي الشوري – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1997 .
13- اتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة لحمود بن عبدالله التويجري : ج2 – ص225 - دار الصميعي – الرياض 0 ط2 – 1414 .
14- أخبار مكّة لأبي الوليد الأزرقي، ج 1، ص 381 بتحقيق رشدي ملحس – الناشر عبدالمقصود خوجة – جدة – 1425 – 2005 .
15- صحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب لا تقوم الساعة حتى تضطرب اليات نساء دوس عند ذي الخلصة - من حديث عائشة – ح 5174 .
16- رواه مسلم في صحيحه – كتاب الفتن وأشراط الساعة – ح 2940 .
17- تفسير الطبري : ج7 – ص460 .
18- رواه الترمذي من حديث أبي واقد الليثي – كتاب الفتن – باب لتركبن سنن من كان قبلكم ح2180 .
19- رسالة نواقض الإسلام للإمام محمد بن عبدالوهاب – طبعة الادارة العامة للبحوث العلمية والافتاء .
20- رواه البخاري من حديث أبي هريرة : كتاب الصلاة – باب استقبال القبلة – ح 426 .
21- رواه البخاري من حديث أبي هريرة : كتاب الصلاة – باب استقبال القبلة – ح 426 .
22- رواه الترمذي من حديث أبي واقد الليثي – كتاب الفتن – باب لتركبن سنن من كان قبلكم ح2180 .
23- انظر تحفة الاحوذي بشرح الترمذي : كتاب الفتن عن رسول الله – باب طريقة أهل الأهواء،ج7- ص340 .
24- تفسير الطبري : ج6 – ص45 .
25- رواه البخاري – كتاب الحج – باب لولا حداثة قومك بالكفر - رقم 1509 .
26- رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء: في مسند القبائل – ح 26939 ، – دار الباز للنشر والتوزيع – مكة المكرمة – ط2 – 1978 .
27- رواه الترمذي من حديث عدي بن حاتم : كتاب تفسير القرآن – ح 3095 .